المجلس العلمي

المحاضرة السابعة:

مفهوم ما بين الثقافي والتحولات الاجتماعية (تابع)

عوامل التغير الاجتماعي (تابع):

ج- العوامل التكنولوجية:

يشهد العالم برمته تكورا سريعا على مستوى جميع الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، بسبب الاختراعات والاكتشافات العلمية التي أسهمت في عملية التغير الاجتماعي والثقافي، وقد ارتبط هذا التغير بسياقات ومحطات تاريخية فكان لاختراع القاطرة البخارية دورا مهما في تنشيط حركة النقل البري ونقل البضائع والمواد الغذائية بمختلف أنواعها من مكان إلى مكان آخر وساهم اختراع الطائرة في ربط شبكة المواصلات بين مختلف القارات والشعوب والمجتمعات، ينبغي أن نشير في هذا الاتجاه إلى أن الاختراع لا يرتبط فقط بالجانب المادي من الثقافة بل ويمتد إلى جانبها اللامادي المعنوي فالاختراع هو كل تجديد في مجالات العلوم والفنون والنظم الاجتماعية ...

لقد لعبت الثورة الصناعية في أوروبا دورا كبيرا في تغير النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حيث انتقلت أوروبا من النظام الاقطاعي إلى النظام الرأسمالي والاشتراكية وتحول موضوع العمل من النمط الزراعي إلى النمط الصناعي وتشكلت الطبقات الاجتماعية وتحسنت الظروف المعيشية للأفراد ...

ارتبطت الثورة الصناعية بالاختراعات والاكتشافات العلمية وبالتقدم التكنولوجي، حيث لعبت دورا كبيرا في التغيرات الثقافية التي عرفتها المجتمعات البشرية في مراحل تاريخية متعاقبة ومستمرة حيث ساهمت في نموها وتطورها والانتقال من استعمال وسائل بسيطة إلى وسائل معقدة و بفضل هذه الاكتشافات تحولت المجتمعات البشرية من مرحلة الزراعة إلى مرحلة الصناعة ثم إلى مرحلة مجتمع المعرفة الذي اختزل المسافات الثقافية بين شعوب العالم فصارت المعمورة قرية إلكترونية نتيجة اكتشاف الوسائط التكنولوجية الحديثة منها الأنترنيت والهاتف النقال والأقمار الصناعية.

لقد تطورت وسائل الاتصال الاجتماعي والثقافي واستطاع الإنسان غزو الفضاء وصناعة الأدوية الحديثة لعلاج الأمراض التي كانت تبدو مستعصية من قبل، وأدخلت التكنولوجية في المدارس والمعاهد

والجامعات، وتفنن الإنسان في البناء المعماري فشيد القصور الفخمة وناطحات السحاب العالية ... و ذلك بفضل الاكتشافات العلمية و التكنولوجية و الاقتصادية.

يعتقد عالم الاجتماع الأمريكي " وليم أجبرن" أن الاختراع أساس التغير الثقافي وأن الثقافة تتكون الثقافة عنده من المخترعات والسمات الثقافية المتكاملة في نسق بدرجات مختلفة من الارتباط بأجزائه، و تنتظم السمات المادية على السواء حول إشباع الحاجات الإنسانية الأساسية لتمدنا بالنظم الاجتماعية التي تمثل أساسا الثقافة، وتتصل النظم الاجتماعية فيهما لتكون نموذجا فريدا في كل مجتمع.[1]

و يميز أجبرن في الثقافة بين مجالين هما: الثقافة المادية و الثقافة المتكيفة (اللامادية) و الثقافة المادية:

تظم الثقافة المادية الجانب المادي من الثقافة وتتمثل في مجموع الأشياء وأدوات العمل والثمرات التي تخلقها، و تتشكل الثقافة المتكيفة من العقائد و التقاليد والأفكار و التعليم المنعكس في سلوك الأفراد، و بتعبير آخر إن الثقافة المادية هي المظهر الفيزيقي للتفاعل الإنساني أما الثقافة المتكيفة فهي المظهر الإيديولوجي من هذا التفاعل.

و يبدأ التعبير الاجتماعي عند أجبرن من مجال الأشياء ثم يمتد تأثيره إلى المستوى الاجتماعي وتعد الأشياء من وجهة نظره القوة لأنها تقبل التغير بأسرع مما تتقبله الأفكار، فالتعليم مثلا يساير دائما تقدم الصناعة، أي أن الأشياء تحدد و تصنع الأفكار.

و يتأثر التغير الاجتماعي والثقافي بعاملين أساسيين يسهمان في إعاقتهما ويتمثلان في ما يلي:

-ركود حركة الاختراع أو فقدان القدرة على الإبداع.

-مقاومة المجتمع كل أشكال التمدن والتحضر للحفاظ على أنساقه و نظمه الثقافية الأصلية والتقليدية من قيم و أعراف و تقاليد و عادات.

[1] – معن خليل العمر، التغير الاجتماعي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 27

د- العوامل الاقتصادية:

يتصور الكثير من الفلاسفة وعلماء الاجتماع أن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأساس للتغير الاجتماعي و الثقافي و السياسي واعتبرت العامل والحاسم في نهاية المطاف و قد دافع عن هذه الأطروحة منظرو المدرسة الماركسية من الرعيل الأول : كارل ماركس و فريديريك إنجلز ...

تنظر النظرية الماركسية للمجتمع نظرة شمولية من حيث نشأته و مقوماته و تراكيبه وعوامل التغير فيه و مراحل تطوره ومصيره و تعتقد أن الوضع الاقتصادي لكل مجتمع، هو الذي يحدد أوضاعه الاجتماعية، و السياسية، و الدينية، و الفكرية و ما إليها من ظواهر الوجود الاجتماعي و تذهب إلى القول بأن لكل حركة تاريخية في حياة الإنسان هو وضع القوة المنتجة و وسائل الإنتاج و يمكن إيجاز هذه الرؤية المادية الاقتصادية بهذه الصورة:" يرتبط الناس في أداء عملية الإنتاج بعلاقات خاصة تكون لازمة ومستقلة عن إرادتهم تتخذ في كل طور المستوى الذي تتطلبه قوى الإنتاج المادية، وتؤلف بكليتها التركيب الاقتصادي للمجتمع فتكون الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه التراكيب الفوقية القانونية والسياسية وما يتوافق معها من الأفكار والمشاعر الاجتماعية. ولهذا كان نمط الإنتاج في الحياة المادية هو الذي يعين الخصائص العامة لنظام الحياة الاجتماعية والسياسية و الروحية، و لم يكن وعي الناس وما يتصورون هو الأصل في وجودهم بل كان وجودهم الاجتماعي هو أصل وعيهم و ما يدركون." [1]

تتخذ النظرية الماركسية إذا الوجود الاجتماعي على أنه الأصل، و علاقات الإنتاج على أنها أساس التكوين الاجتماعي، و هي علاقات أصولها مادية وطبيعتها اجتماعية و تستبعد كل تفسير غيبي أو مثالي في تفسير المجتمع ونشوئه ومقوماته الأساسية. كما تتصور النظرية الماركسية أن التحولات الاجتماعية ترتد إلى التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج ف "بتغير القاعدة الاقتصادية يمتد التغبير وعلى عجل ليشمل التركيب الفوقي برمته." [2]

تؤكد هذه المقولات المسألة الأساسية في النظرية الماركسية الكلاسيكية، و هي أن الأصل في المجتمع الواقع المادي، وامتداداته التاريخية وعوامل التغير فيه، فالقوى الاقتصادية هي محرك التاريخ وقانون تطور المجتمعات البشرية.

---

[1] - عبد الفتاح إبراهيم، الاجتماع و الماركسية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1980، ص 16

[2] - المرجع نفسه، ص 17

لقد تلقت النظرية الماركسية في أطروحتها حول التغير الاجتماعي عدة انتقادات سواء من خصومها أو أنصارها من الفلاسفة و علماء الاجتماع الماركسيين الجدد فقد أشاروا إلى أهمية العوامل الاقتصادية في تحول المجتمعات ولكن ليست العامل الوحيد و الحاسم في ذلك فكذلك للعوامل الثقافية و الدينية و السياسية والإيديولوجية تسهم في هذا التغير و انتقال المجتمع من حالة إلى حالة أخرى.

هـ- العوامل الثقافية والايديولوجية:

يقصد بمفهوم الإيديولوجيا نسق من التصورات و التمثلات و الأفكار التي ينتجها الأفراد والجماعات تجاه علاقتهم بالطبيعة و الكون و المجتمع ومصيرهم ويتم اكتسابها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية منها: الأسرة و المدرسة و المؤسسات الإعلامية و الدينية و السياسية ... و يستعملها رجال السياسة والدين والإعلام والتربية لتبرير وجودهم وبقائهم في السلطة فيوظفونها في خطبهم ومؤسساتهم لتوجيه الرأي العام لتزييف الواقع الاجتماعي و تضليله و إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية و إبقائها على حالها.

إن الإيديولوجيا قوة فكرية محركة وفاعلة تتجلى في شكل تمثلات و قناعات و أفكار و خطب دينية و سياسية و إعلامية و تربوية.. و لها وجهان:

- إذا كانت الفئة الاجتماعية تملك السلطة السياسية و تريد البقاء والحفاظ على مكانتها وإبقاء الواقع الاجتماعي كما هو و بدون تغيير فإنها ستنتج خطابا سياسيا وإعلاميا و دينيا و أخلاقيا... لتبرير الواقع و إظهاره في صورة تعمل على التخفيف من حدة الغليان الشعبي و إخماد الحركات الاحتجاجية المعارضة للنظام السياسي و توجهاته.

-إذا كانت الفئة الاجتماعية معارضة فإنها تنتج خطابا نفس الخطاب ولكن بحمولة فكرية تنشد التغيير تبرز من خلالها التناقضات الاجتماعية وعدم المساواة و عجز النظام السياسي عن إنجاز المشاريع التنموية و غلاء المعيشة و تنامي البطالة و الهجرة و الفساد ... هذا الخطاب بمختلف صوره يؤدي إلى التأثير في الأفراد و يدفع بهم للتعبير عن رفضهم وسخطهم على الأوضاع المزرية التي يعيشونها بالمسيرات والاحتجاجات لتغيير المجتمع و تشييد مجتمع بديل يحقق أهداف ايدلوجية التغيير.

إن العوامل الايديولوجية والثقافية لا تكمن فقط في تلك النزعات التي تهدف إلى إبقاء الواقع على حاله أو إلى تغييره بل و إلى جانب ذلك يعتبر الانتشار الثقافي من بين أهم العوامل التي تؤدي إلى التغير الثقافي، و يقصد بالانتشار الثقافي تلك العملية التي تحدث تماثلا ثقافيا بين مجتمعات متباينة، حيث تتطور التغيرات الثقافية في كل المجتمعات نتيجة هذا الانتشار، و تتم عملية الانتشار داخل المجتمع الواحد، أو بين مجتمع ومجتمع آخر ونستشف ذلك من خلال انتشار السمات الثقافية من جماعة اجتماعية إلى أخرى مثل: شهرة السود بموسيقى الجاز التي انتقلت إلى مجموعات أمريكية ثم انتشرت إلى دول أوروبا.[1]

و يعد الانتشار عملية انتقائية ويتجلى ذلك في اختيار جماعة بشرية بعض السمات الثقافية من جماعة أخرى بينما ترفض بعض السمات الأخرى و كمثال على ذلك : تعلم الفنون القتالية الصينية و رفض معتقداتهم الدينية، كما أنه أثناء هذا الانتشار قد تستعير بعض المجتمعات نماذج ثقافية و تقوم بتعديلات لها تجعلها تتماشى مع الخصوصيات الاجتماعية والتاريخية و الحضارية فمثلا : نستمد مفاهيم الديموقراطية و الحرية و حقوق الانسان و المجتمع المدني .. من الثقافة الغربية و نكيفها بحسب هذه الخصوصيات.

يعد الانتشار خاصية أساسية في التغير الاجتماعي والثقافي حيث تنتشر السمات أو الأنماط الثقافية من منطقة إلى أخرى إلى أن تسود العالم و يتم هذا الانتشار عن طريق التجارة أو الحروب أو الزواج و السياحة و الهجرة أو تبادل الآثار العلمية و وسائل الاتصال الفكرية.[2]

---

[1] – دلال ملحس استيتية، مرجع سابق، ص 87

[2] – عماد عبد الغني، مرجع سابق، ص 201

خلاصة :

يعد مفهوم التغير الاجتماعي والثقافي من بين المفاهيم الأساسية و المفتاحية في علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا، حيث إنه يفسر التحولات الكبرى التي عرفتها المجتمعات والحضارات من حيث أسباب حدوثها و القوانين التي تحكمها، و يقدم علماء الاجتماع و الأنتروبولوجيا عدة تفسيرات لمفهوم التغير الاجتماعي والثقافي بحسب النظريات والمدارس الفكرية التي ينتمون إليها منها: النظرية التطورية و النظرية الدائرية والانتشارية و الماركسية و مدرسة التحليل النفسي ...

المجلس العلمي

المحاضرة الثامنة:

لفي ستروس والتحليل البنيوي للثقافة

تمهيد:

يعتبر لفي ستروس واحدا من بين أبرز الأنثروبولوجيين وكبار المفكرين الفرنسيين الذين ساهوا بأبحاثهم الميدانية في تشكيل نظرية علمية قائمة بذاتها تسمى بالأنثروبولوجيا البنيوية، حيث اعتمد في دراساته للقرابة والسحر والأسطورة ونظام الزواج والتبادل ... على المنهج البنيوي والدراسات اللغوية واللسانية .. وأصبحت الأنثروبولوجية البنيوية مرتبطة بهذا المفكر والباحث الأنثروبولوجي، كما أصبحت مدرسة علمية مستقلة ومتميزة في مجال اللسانيات و الفلسفة و علم الاجتماع و علم النفس بمناهجها مفاهيمها و مقاربتها للثقافة بمختلف عناصرها المكونة لها.

1-لفي ستروس: حياته ومؤلفاته:

ولد ليفي ستروس في بروكسل ببلجيكا في 28 نوفمبر 1908، ويعد واحدا من أبر ز المفكرين الفرنسيين في مجال الأنثروبولوجيا، كان والده ريمون لفي ستروس رساما و أمه تدعى لفي ديما، عادت عائلته من بروكسيل إلى فرنسا سنة 1918، حيث واصل دراسته بثانوية جونسون دو سيلي، نال درجة الليسانس في الحقوق وشهادة الدراسات العليا في الفلسفة، تزوج سنة 1932 بالفيلسوفة دينا دروفيس، وفي سنة 1933 صار أستاذا بثانوية بمدينة ليون، و في هذه المرحلة طالع كتاب الأنثروبولوجي الأمريكي روبير لوي "المجتمع البدائي" و من خلال هذا الكتاب يتوجه فكر لفي ستروس من الفلسفة إلى الإتنولوجيا.

و في سنة 1934 اقترحت عليه سليستان بوقلي مديرة المدرسة العادية العليا تدريس السوسيولوجيا في جامعة ساو باولو بالبرازيل، وفي سنة 1935 تعرف لفي ستروس بقبائل هنود كديفيو و بورورو، و يشير إلى هذا التعارف في كتابه "مدارات حزينة"، و واصل في سنة 1943 تحرير كتابه " الأشكال الأولية للقرابة."[1]

---

[1] – إدموند ليتش، كلود لفي – شتراوس. البنيوية في مشروعها الأنثروبولوجي، دراسة فكرية، تر: ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، 2010، ص 11

عين في سنة 1945 مستشارا للثقافة بالسفارة الفرنسية و بإقامة أمريكية في نيويورك حيث تزوج ب: روز ماري إلمون و أنجب منها طفله لورونت، و في سنة 1949 ناقش أطروحة " البنى الأولية للقرابة"، و هي أطروحة رئيسية و الحياة العائلية والاجتماعية لهنود "نمبكوارا " أطروحة تكميلية، و ما بين 1952- 1958 ألف كتابه " العرق والتاريخ " و مدارات حزينة" وهو عبارة عن قصص حول رحلته إلى البرازيل و أمريكا وقصة تحوله من مجال الفلسفة إلى الاتنولوجيا.

و في سنة 1960 أنشأ مخبر الأنثروبولوجية الاجتماعية وفي 1961 أنشأ أيضا مجلة الإنسان و في سنة 1981 انتقل إلى كوريا الجنوبية للمشاركة في أيام دراسية خصصت حول مؤلفاته وفي 1982 أحيل على التقاعد وفي سنتي 1983- 1984 سافر إلى اليابان و إسرائيل ، و في سنة1985 عاد إلى البرازيل برفقة الرئيس الفرنسي الأسبق " فرانسوا ميتيرون."[1]

لم يتوقف لفي ستروس بعد تقاعده من مناصبه العلمية و الإدارية و إ نما واصل التفكير و البحث العلمي حيث أنجز العديد من المؤلفات و الأبحاث العلمية ففي سنة 2003 أنجز ملف خاصا حول أعماله بمجلة : الفكر" بمناسبة بلوغه سن الخامسة والتسعين و باقترابه من سن المائة سنة نشر قسم من مؤلفاته سنة 2008.

2-لفي ستروس ومجال الأنتروبولوجيا:

تشير العديد من الدراسات أن المفكر لفي ستروس كان من بين أبرز الفلاسفة والمفكرين البنيويين الفرنسيين، وهنا نسجل ملاحظة أساسية وهي أن أغلب علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا في فرنسا قد تلقوا في بداية حياتهم تكوينا فلسفيا نذكر من بين هؤلاء المفكرين على سبيل المثال لا الحصر: أغيست كونت و إميل دوركايهم و مارسيل موس و لفي برول.. و لكن في مراحل لاحقة درس لفي ستروس السوسيولوجيا بجامعة ساوباولو بالبرازيل، حيث تأثر بكتاب" المجتمع البدائي" للمفكر الأمريكي " روبير لوي "، الذي يعتبر نقطة تحول في تفكيره العلمي من الفلسفة و علم الاجتماع إلى الأنثروبولوجيا.

كانت لرحلات لفي ستروس دورا كبيرا في هذا الانتقال المعرفي و العلمي و بخاصة رحلته إلى البرازيل ثم الولايات المتحدة الأمريكية حيث تعرف في نيويورك على المفكر الأنثروبولوجي فرانز بواس الذي كان

---

[1]- Le Magazine Littéraire, Claude Lévi-Strauss Le Penseur Du Siècle, N475, 2008, p 79

ينادي بفكرة التعدد الثقافي و المراكز الثقافية والبنية الثقافية و المساواة بين الثقافات بمعنى لا توجد ثقافة عليا و أخرى دنيا و دراسة الثقافات بطريقة موضوعية و محايدة، و كانت هذه الأفكار التي دعت إليها النظرية الانتشارية جملة من الانتقادات الموجهة للنظرية التطورية المتشبعة بالنظريات البيولوجية متمثلة في نظرية التطور عند داروين . لذلك يمكن القول إن لفي ستروس قد مزج في فكره الأنثروبولوجي بين المدرسة الأنجلو- ساكسونية و الأمريكية التي قامت على الأدبيات وتسمى في فرنسا بالدراسات الثقافية والمدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية التي أسسها علم الاجتماع " مارسيل موس" و التي اعتمدت على البحث الاثنوجرافي و مفاهيم العلوم الإنسانية منها الفلسفة و التاريخ و اللسانيات.[1]

على هذا الأساس نلاحظ أن لفي ستروس قد دافع عن نفس الأفكار التي روجت لها الانتشارية عند فرانس بواس في كتابه " العرق والتاريخ" فقد أشار إلى أهم المسلمات التي ترتكز عليها " العرقية متمثلة في:

- رفض الثقافات الأخرى و الاعتراف فقط بوجود ثقافة واحدة تنطلق منها كل الثقافات الإنسانية.

- ذوبان و انصهار كل الثقافات في ثقافة واحدة لغرض التقدم و التطور.

- حصر مفهوم الثقافة في ثقافة المتكلم، و بعبارة أدق تنادي العرقية بأفضلية جنسهم و ثقافتهم على الأجناس و الثقافات الأخرى و أنهم يمثلون الثقافة العليا و الحضارة الراقية و ما دونهم يمثل البدائية والهمجية والتخلف ...

و من هذا المنطلق انتقد لفي ستروس هذه النظرة العرقية و العنصرية تجاه الشعوب و الثقافات والحضارات الأخرى، في جل مؤلفاته منها: العرق والتاريخ والبنيات الأولية للقرابة و الميتولوجيات والتفكير الطبيعي... حيث تصور أنه لا توجد ثقافات و حضارات و شعوب متقدمة و متمدنة وأخرى متخلفة و بدائية و همجية بل إن لكل ثقافة و حضارة خصوصياتها التي تميزها عن الآخرين وعلى الرغم من تباينها و تنوعها فهي تمثل كلها ثقافة كونية متفاعلة و متكاملة يتطلب التقريب بينها و دراستها بمنهج علمي و برؤية موضوعية محايدة.

---

[1] إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1،1993، ص 35

قام لفي ستروس بتشكيل نظرية جديدة في مجال الأنثروبولوجيا سميت بالنظرية البنيوية و قد اعتمد في ذلك على أفكار عالم اللسانيات " فرديناند دوسوسير " حول اللغة حيث تعبر عن بنية من العلامات المترابطة فيما بينها في نسيج من العلاقات المنظمة، ويعتبر لفي سترويس أول من كيف لغويات دوسوسير ليطبقها في العلوم الاجتماعية، حيث إن الزواج ونظم القرابة تعد نوعا من اللغة أو مجموعة من الأطر التي تسمح بإقامة نوع من الاتصال بين الأفراد والجماعات.[1]

و كان لصديقه " رومان ياكبسون" دور كبير في اهتمامه بعلم اللغة البنيوي ، و القاسم المشترك بين دوسوسير و لفي ستروس هو أن اللغة نسق مستقل بذاته ، نسق يقوم على التسليم بعلاقة فاعلة تصل مكونات العلامة اللغوية، أي تصل بين نسق اللغة والكلام الفردي من ناحية و بين الصورة الصوتية و المفهوم من ناحية ثانية. كما استلهم من الجيولوجيا و مدرسة التحليل النفسي و الماركسية في تفسيره لنظام القرابة و الزواج و الأساطير و العلاقات التبادلية بين الأفراد و الجماعات و القبائل، و كثيرا ما كان يسمي لفي ستروس هذه المرجعيات و المدراس الفكرية ب" ملهماته الثلاثة أو سيداته الثلاثة. "[2]

---

[1] – المرجع السابق، ص 36

[2]– انظر: جون ستروك، البنيوية و ما بعدها من لفي ستروس إلى دريدا، تر: محمد عصفور،عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1996، ص 27

– إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1،1993، ص 38